بديع خيرى

شيخ الزجالين وإمبراطور الضحك

- كتب ١٦٠ مسرحية و ٢٥ فيلماً.
- فشل فى التمثيل فأصبح كاتبا مسرحيًا متميزاً.
- كان الأطباء يصفون مسرحياته لعلاج المرضى.
- شارك فى ثورة ١٩١٩ بأشعاره «بلادى.. بلادى».
- ابتعد عن حبيبته من أجل أمه، وكانت زوجته سر نجاحه.
- صنع مجد نجيب الريحانى.

كل من أحب وضحك من القلب مع أفلام نجيب الريحانى، يجب أن ينحنى بتحية إجلال واحترام للعبقرى الذى كان وراء تألق نجومية الريحانى، والذى صاغ بكلماته وأزجاله كل هذا النجاح، والذى ظل وفيًا لمسرح الريحانى رافعًا راياته بعد وفاة صاحبه بـ ١٧ عامًا، أحب الريحانى فتعانقت أفكارهما، فكان هذا التراث الفنى الخالد.

هو إمبراطور الضحك، ابن النيل، شيخ الزجالين، صانع الفكاهة بديع خيرى، الذى تحولت المسرحيات التى كتبها للريحانى إلى دواء يصفه الأطباء فى روشتاتهم لعلاج مرضاهم النفسيين.

فشل أن يكون ممثلاً فأصبح من أشهر وأعظم المؤلفين المسرحيين المصريين والعرب فى العصر الحديث، كتب حوالى ١٦٠ مسرحية، و١٥٠ أوبريتًا، و ٢٥ فيلمًا سينمائيًا.

كان سلاحه الضحكة، حتى مع أصعب الأزمات التى مر بها، كان قوى الإيمان بفنه، مقتنعًا برسالته، وبهذا الصبر والإيمان تحدى كل المحن التى لازمت حياته، بداية بوفاة زوجته، ثم وفاة رفيق كفاحه نجيب الريحانى، إلى وفاة ابنه الممثل عادل خيرى، مروراً بقرار الأطباء ببتر أصابع قدميه.

يوم وفاته قال رفاقه وتلاميذه، لم نندهش لأنه توفى، وإنما اندهشنا أنه عاش، فهو الرجل الذى مات بالتقسيط، ولكن ابتسامته التى صنعها على مدى أربعين عامًا لاتزال تدخل السعادة والبهجة إلى كل القلوب.

بديع ممثل

بدأ كاتبنا المسرحى حياته الفنية بداية بعيدة عن التأليف إذ اجتذبه التمثيل،

وبالفعل كون مع أصدقائه جمعية للتمثيل أطلقوا عليها «نادى التمثيل المصرى» إذ كانوا ينظمون حفلات تمثيلية تمول من مصروفهم المحدود.

وفى أحد الأيام تشجع بديع، واتجه إلى «محمد بك رفاعة» طالبًا منه أن يتوسط له عند جورج أبيض ليصبح ممثلاً! فثار ثورة كبيرة فى البداية قائلا: «انت ابن ناس».

ولكن بعد جهود مضنية.. اقتنع وأوصى جورج أبيض به، ولكن اللجنة التى اختبرت بديع خيرى كان لها رأى قاطع فى موهبته إذ أخبروه بصراحة قاطعة أنه لا يصلح ممثلاً، وعليه أن يبحث عن عمل آخر، رغم ذلك.. لم تغب الابتسامة المتفائلة عن وجه شيخ الزجالين إذ أدرك بفطنته أن التمثيل لن يكون مجاله، وأن عليه البحث عن مجال آخر يبرز مواهبه وطموحاته فاتجه نحو التأليف.

والسر الذى أعلنه بعد ذلك.. أنه رغم فشله كممثل إلا أنه قام بتمثيل كل الشخصيات التى كتبها! فقد كان يتسلل إلى غرفته، موصدًا بابها عليه، ويبدأ فى تقمص كل شخصية على حدة بل يردد حديثها بصوت عال ليصبح تارة نادل يونانى، وأخرى عامل مصرى فقير... محققًا بذلك أمنيته الأولى فى العمل كممثل لكن دون جمهور!

خمسون قرشًا

إتجه بديع بكل طاقته وموهبته إلى تأليف المنولوجات، كان يقوم بكتابتها ثم يلقيها هو وأصدقاؤه فى المناسبات، حتى جاءت الفرصة الذهبية عندما ألف مونولوجا كان مطلعه:

ليلة العيد كنت مخدر فى ميدان عابدين ماشى أتمخطر

وكتب الله لهذا المنولوج الذيوع والانتشار إذ اشترته «فاطمة قدرى» المنولوجست الشهيرة فى ذلك الوقت، ودفعت خمسين قرشًا كاملة ثمنًا له! وبالفعل أصبح هذا المنولوج من أشهر منولوجات هذا العصر، وأكثرها شعبية.

أما حتة ورطة

ولم يقف طموح كاتبنا عند هذا الحد، إذ كان القدر يدخر له صدفة أكبر، فعندما ثار خلاف بين نجيب الريحانى ومؤلف فرقته «أمين صدقى» أصبح الريحانى فى مأزق، وراح يبحث عن مؤلف لمسرحياته، فى الوقت ذاته كان نادى التمثيل المصرى يعرض مسرحية «أما حتة ورطة» من تأليف: بديع خيرى، فحضر الريحانى بنفسه أحد العروض، وتحمس بشدة، وظل يتابع العرض حتى أُسدل الستار، وعندما انتهى العرض كان هو المتفرج الوحيد الذى صفق تقديراً للفن، وليس نظير الدعوة المجانية التى تلقاها لحضور العرض!

سأل الريحانى مباشرة عن اسم المؤلف، ولما كان بديع يخفى إسمه كمؤلف خوفًا من أن يفقد وظيفته الحكومية، انتحل «جورج شفتشى» دور المؤلف، ووافق على أن يكتب مسرحية لفرقة الريحانى.

خيال الظل

تم الاتفاق بين بديع وجورج أن يكتب الأول الأعمال المسرحية بينما يقوم الثانى ببيعها للريحانى، على أن يقتسما الربح بينهما، وذلك حتى لا تضيع الوظيفة الحكومية.

وبالفعل.. تحت ظل هذا الاتفاق قدم ثلاث مسرحيات تحمل اسم جورج شفتشى، وعصارة ذهن مؤلفنا الكبير، وهى: «على كيفك» «كله من ده»، «إستعراض» ١٩١٨ - ١٩٢٠.

ولأن الحق لابد أن يظهر مهما طال الأمد، اكتشف أحد أصدقاء جورج السر وأفشاه للريحانى، الذى كان لديه شك كبير فى أن يكون هو المؤلف الحقيقى لتلك الأعمال، وطلب أن يقابل بديع خيرى على الفور.

أول كأس نبيذ

عندما علم مؤلفنا أنه على موعد مع الضاحك الباكى، أصيب بالخوف

والارتباك من هذا اللقاء، خاصة وأنه خجول بطبعه، فقرر ابن المغربلين ـ وهو ابن البيت المحافظ ـ أن يحتسى كأسا من الخمر لأول مرة فى حياته حتى يعالج ارتباكه، ثم ذهب إلى مسرح «الإجيبسيانا»، وهناك فوجئ بالبساطة التى يعيشها الريحانى، إذ كانت غرفته بلا سكرتير ولا أبواب مغلقة، وفى غضون ثوانٍ قليلة وجد نفسه يقف أمامه فى غرفة بسيطة الأثاث، كان الاستقبال حافلاً ومُرحبًا، إذ أبدى الريحانى إعجابه الشديد بالمسرحيات الثلاث، واتفقا وكتبا العقد.

ولاشك أن هذا اليوم كان يوم الميلاد الفنى لبديع خيرى إذ أصبحا يمثلا ثنائى ساخرا لن يجود الزمان بمثله.

والمصادفة الغريبة أن يوم الميلاد الفنى لشيخ الزجالين توافق مع يوم ميلاده الحقيقى بفارق خمسة وعشرين عاما فقط، هى عمر كل تجاربه الفنية السابقة.

الحب الأول

بدأ امبراطور الضحك حياته مدرسًا فى إحدى المدارس، وهناك بدأت الفصول الأولى لقصة حبه، كانت هيفاء جميلة، أخت أحد تلاميذه، أحبها منذ اللحظة الأولى وبادلته هى مشاعره البريئة، كانت شاعرة شغوفة بقراءة الأدب الفرنسى والإنجليزى لذا، كانا يتبادلان الخطابات بالشعر والزجل.

بل إن كاتبنا العظيم اعترف بأن غادته الهيفاء لها الفضل الأكبر فى الثقافة الأدبية والمسرحية التى وصل لها.

ومما لاشك فيه أن تلك القصة الرائعة كان يجب أن تتوج برباط الزواج المقدس، إلا أن دراما القدر لعبت دورها، حيث نشبت الخلافات بين الحبيبين، إلا أن حبهما كان ينتصر على المصاعب حتى جاءت لحظة الفراق، عندما رفضت أم بديع أن يتزوج من فتاته دون إبداء أى أسباب، وصممت أن يتزوج الفتاة التى اختارتها له، ففضل هو أن يقتل قلبه على أن يغضب أمه، فكان الفراق. . قرر أن يبتعد عن حبيبته ويضحى بحبه الكبير وهو القرار الذى ندم عليه طوال عمره

وبعدها قدم بديع أغرب طلب قدم إلى وزارة المعارف، إذ طلب نقله إلى أقصى الصعيد عسى أن يستطيع الزمن أن يضمد جراح حبه، ترى هل استطاع؟!

زوجته سر نجاحه

استمر زواجهما ٣٣ سنة، بنفس الحرارة والدفء والتضحية، اعترفت زوجته أنها كانت جريئة بخلاف بنات عصرها، وأنها هى التى أبدت إعجابها الشديد به، فاستجاب لها وأحبها وتزوجها، وقفت روحية ـ زوجة بديع ـ بجانب زوجها منذ بداية حياته الفنية، فعندما كانت العائلة المحافظة تلوم بديع لأنه ترك التدريس واتجه إلى التمثيل، وتتهمه أنه يريد أن يتسكع فى شوارع عماد الدين، وقفت هى إلى جانبه وساندته بكل قواها حتى وصل إلى قمة مجده وتألقه.

ويؤكد هو بكل فخر أن زوجته كانت بالفعل سر نجاحه، إذ حاولت دائمًا ألا تشغله بأى شىء يعوقه عن فنه، فكان بديع دائمًا مطمئنًا على منزله وأولاده بفضل رعايتها.

ولم تكتف تلك الزوجة المخلصة بدورها فى منزلها، بل كانت تساعده فى أعماله المسرحية أيضًا، فكثيرًا ما تسللت وراء الكواليس لتحل مشكلات الممثلين فى هدوء حتى لا يحتكوا به، بل إنها تقمصت شخصية فى إحدى المرات، عندما قامت بكتابة قصة لوزارة الصحة عن مرض الرمد، كان بديع قد رفض كتابتها لأنه لم يعتد هذه النوعية من الروايات.

بديع متهم..

واجه شيخ المسرح العديد من المشاكل القانونية التى نجمت عن أعمال فنية قدمها هو بحسن نية، بينما أساءت إلى بعض الجهات، ومنها تلك الاحتجاجات التى قُدمت من الأزهر وبطريكية الأقباط، والحاخام الأكبر معترضين على اسم مسرحية «حسن ومرقص وكوهين»، إلا أن بديع أصرّ على موقفه، وأكد أن الأسماء الثلاثة هى أسماء من الحياة ومن بين أصحابها مجرمون فى السجن ومجانين كما من بينهم أثرياء وأصحاب قصور.

وعندما قدم بديع مسرحيته «ياما كان فى نفسى» إعترض عليها نقيب الحلاقين، لأنه رأى أن المسرحية قدمت شخصية الحلاق بشكل كاريكاتيرى وبصورة تسىء للحلاقين، فما كان من بديع إلا أن اعتذر وأكد احترامه للحلاقين، وأنه لا يمس كرامتهم على الإطلاق وإن كان يعرض شخصية الحلاق كما عرض شخصية الباشا أو المحامى أو المستشار.

ـ ولم تقف الأمور عند هذا الحد، فقد رفع أحد المحامين دعوى على بديع خيرى والريحانى بعد عرض مسرحية «إلا خمسة»، ورغم تنازل هذا المدعى بعد ذلك عن دعواه إلا أن بديع والريحانى رفضا هذا التنازل وظلا متمسكين بحقهما فى القضية كمتهمين!! وأكدا «إحنا مُصرين».

وهناك أيضًا إعتراض الأطباء البيطريين على رواية.. «ابن مين بسلامته» إذ رأوا أن شخصية الطبيب البيطرى فى هذه الرواية تسىء لتلك المهنة، فأكد كاتبنا إحترامه الشديد لتلك المهنة، وحول الشخصية من طبيب بيطرى إلى ممرض.

ولم تكن تلك الدعاوى هى المشكلات القانونية الوحيدة التى واجهها بديع وإنما هناك عشرات أخرى، فهناك مثلاً العمدة الذى اعترض على شخصية العمدة فى إحدى الروايات، وبرر ذلك أنه عمدة ابن عمدة ومتزوج من بنت عمدة، وأن إبنه سيكون عمدة!!

والغريب أن شيخ الزجالين لم تهتز له شعرة بسبب تلك الدعاوى بل على العكس استطاع أن يصهرها داخل قالب ممتع من الكوميديا الهادفة، وكان دائمًا يخرج من أية مشكلة والطرف الثانى مقتنع تمامًا بوجهة نظره الفنية.

روشتة طبيب

فى ذلك الوقت ضرب مسرح الريحانى أروع الأمثلة فى الفن الهادف، ونال إعجاب وتقدير الجميع، بل بلغ الإيمان بالفن الرفيع الذى يقدمه هذا المسرح أن يصفه الأطباء النفسيون علاجًا لمرضاهم!

ففي إحدى روشتات «الدكتور منصور» أحد مشاهير الأطباء وقتئذ كانت هناك عبارة تثير الدهشة إذ كتب يعالج مريضه موصيًا: «عليك بالذهاب إلى مسرح الريحانى مرتين فى الأسبوع!».

فلقد أصبح مسرح الريحانى علاجا نفسيا، إنه العلاج بالضحك الذى يوصى به الأطباء الآن، والذى اكتشفه ذلك الثنائى الفنى منذ عشرات السنين ولعل هذا أكبر دليل على التقدير والاحترام الذين أولاهما الجميع لهذا المسرح.

عندما غنى بديع

طلبت هدى شعراوى من بديع أن يؤلف مسرحية غنائية تعرض فى الأوبرا، وكان من المقرر أن يقدم الشيخ زكريا أحمد من خلال أحداث المسرحية أغنية جديدة من ألحانه، بينما كتب كلماتها بديع خيرى وبالفعل نجحت البروفات اليومية للعمل بشكل منقطع النظير، ولكن.. فى البروفة النهائية يوم الحفلة حدث مالم يكن فى الحسبان: فقد وصل الشيخ زكريا وقد أصيب بنزلة برد شديدة أضاعت صوته، بحيث يستحيل أن يغنى بل ومن الصعب، حتى أن يتكلم.

فحاول أفراد الفرقة التصرف بسرعة، وعرضوا الدور على عبد الغنى السيد لكنه رفض بسبب ضيق الوقت، وهنا لم يكن هناك سوى حل واحد أن يقدم بديع الدور!

وبالفعل قام عامل الماكياج بتغيير ملامحه تمامًا، وغنى المؤلف لأول مرة مقدمًا دور البطل بشكل رائع، وصفقت له الجماهير طويلاً دون أن يعلموا أن الشيخ زكريا يتابع العمل من الكواليس، وأنهم يصفقون للمؤلف البطل!

إبن النيل

كان بديع يتمتع بروح وطنية مرتفعة للغاية، ولا أحد ينسى أنه صاحب.. بلادى.. بلادى التى مازال أطفالنا يتغنون بها كل صباح، وغيرها من الأناشيد والأعمال الوطنية الخالدة.

والشىء الذى قد لا نعرفه أن تلك الأحاسيس الوطنية قد ولدت معه منذ طفولته، فقد كتب أول قصيدة وطنية للحزب الوطنى وهو فى عمر الثالثة عشره، وهى قصيدة تشتعل بالحماس والتحدى نشرت فى جريدة «الأفكار الأسبوعية» تحت اسم «ابن النيل».

ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، فهناك مواقف وطنية متعددة لامبراطور الضحك، قبل حتى أن يتجه إلى التأليف والشعر، فعندما كان يعمل مترجما فى شركة تليفونات مصر، تلقى شكوى عن تعطل تليفون واطسون باشا ـ وما أدراك ما واطسون باشا؟ ـ إنه أحد أهم أصحاب النفوذ الإنجليز فى مصر، هنا تصرف بديع التصرف الذى أملاه عليه ضميره الوطنى فترك الشكوى تأخذ مسارها الروتينى، ولم يتخذ أى إجراءات عاجلة لصالح الباشا الإنجليزى، ومرت أيام والتليفون معطل، والنتيجة بالطبع معروفة مسبقًا، قرار رفت تلقاه إبن النيل وهو يحمل نفس الابتسامة التى لم تفارق شفتيه طوال عمره.

سلاح الأغنية

وعندما تحسس بديع أسلحته، وجد فى جعبته سلاح الأغنية، لابد أن يستخدمه فى معركته الوطنية، فاستغل قدرته فى التأليف ليكتب عشرات الأعمال الوطنية الحماسية، ولا يمكن أن ننسى دوره فى ثورة سنة ١٩١٩ حينما ساهم بأشعاره فى إشعال الثورة مع الموسيقار سيد درويش، إذ كتب مجموعة رائعة من الأغانى والأناشيد التى ألهبت حماس الجماهير الغاضبة حتى قيل وقتها إن الثورة كان لها زعيمان: سعد زغلول، وأغانى سيد درويش.

ورغم كل هذا التاريخ السياسى الحافل هناك صفحة سياسية مجهولة فى حياة هذا الرجل، فقد كان ينتمى للحزب الوطنى ويتردد على ناديه، كذلك كان أحد أعضاء الحزب الاشتراكى الذى تكون عام ١٩٢١م، بل إن أمنيته الأخيرة التى لم يمهله القدر لتحقيقها هى أن يقوم بكتابة مسرحية عن الفكر الاشتراكى بأسلوب بسيط يفهمه رجل الشارع المصرى.

رجل الاقتصاد

كان بديع بحق اقتصاديا من المقام الأول فقبل عشرات السنوات من النهضة الصناعية، كان هو ينادى بتشجيع الصناعة المصرية ويعلل فقر واحتلال البلاد بأنها بلاد غير صناعية، بينما البلد التى تحتلها (إنجلترا) بلاد صناعية قوية.

وأخذ ينادى بالترابط بين أبناء الوطن، والإقبال على الإنتاج المحلى البسيط، ومن وجانب آخر أخذ يشجع العامل المصرى ويحمسه ليجود إنتاجه وصناعته.. ومن أهم أشعاره وأزجاله فى هذا الصدد:

خسارة تربيتك وحياة ولادك

على اللى ماهوش من طين بلادك

انحنوا لهذا الرجل

كان خيرى أكبر مثال على الصمود والتحدى، إذ واجه فى حياته الكثير من الأزمات، وله العديد من المواقف الرجولية التى تؤكد أنه استطاع الانتصار على أزماته بعناده وإيمانه.

وعلى سبيل المثال ـ وليس الحصر ـ أقدم لكم دليلا قاطعا على تقدير بديع لفنه وإيمانه برسالته إذ أنه فى إحدى الليالى المسرحية سقط بديع خلف الكواليس وهو يعانى آلاما رهيبة فى قدميه ونقل إلى المستشفى وهو فى حالة غيبوبة كاملة، وقرر الأطباء بتر أصابع قدميه، والغريب أنه تقبل هذا الخبر بشجاعة وإيمان حتى أن باتسامته الصغيرة لم تفارق شفتيه.

بعد عدة أشهر.. تلقى فناننا المثابر ـ غير القادر على الوقوف على قدميه ـ دعوة للاشتراك فى عيد ميلاد أضواء المدينة، فما كان منه إلا أن هب للذهاب! كيف؟ محمولاً على كرسى!

وبهذه الهالة من التصميم الذى يحيط به بدأ يلقى زجلاً رائعًا، صفق له

الحضور بتأثر، ومن وراء الكواليس ترقرقت الدموع فى أعين زملائه الفنانين إحترامًا وتقديرًا لصلابة هذا الرجل.

ترزى شخصيات

كان بديع كاتبًا مميزًا، فعندما كان يؤلف مسرحية ما كان يتعمد خلق أدوار تتفق مع شخصيات فرقة الريحانى، فهو يُفصل الأدوار لتتناسب مع أعضاء الفرقة من ناحية الجسم والسن واللهجة التى اعتادها الجمهور وأحبها.

وربما كان هذا يختلف عن القاعدة التى تؤكد أن الممثل يجب أن يكون طوعًا للعمل الفنى وليس العكس، لكن نجح ذلك نجاحًا كبيرًا حيث كان يجتهد أن يكون الموضوع ملائما لشخصيات أفراد الفرقة، وكثيرًا ما كان يستبعد أفكارًا، لأنها لا تناسب الممثلين ولا تلائم طبيعة شخصياتهم.

رحلة المفاجآت

من الأحداث المضحكة التى يرويها لنا شيخ الزجالين، تلك الرحلة التى حملت كثيرا من المفاجآت، عندما سافرت الفرقة إلى تونس لتقدم أعمالها هناك، لكنها وجدت سلسلة من الحوادث المضحكة تنتظرها:

ففى البداية.. رفضت بيروت أن تدخل الباخرة أراضيها لاشتباهها بأنها موبوءة بمرض الكوليرا، فاتجهت الباخرة إلى اليونان، وقضت فرقة الريحانى ومعها بديع خيرى عدة أيام تحت المراقبة الصحية وتأخرت الفرقة عن ميعاد الافتتاح.

وعندما وصلت الفرقة إلى تونس استقبلها أهلها بحفاوة وحماس عظيمين، وقدمت أعمالها الفنية بنجاح لمدة ١٠ ليال، ولكن عندما أرادوا تقاضى الأجور اختفى المتعهدون من البلاد، فاضطرت الفرقة أن تستدين ثمن تذاكر العودة!

الموت بالتقسيط

مر هذا الرجل بأكبر قدر من الأزمات التى يمكن أن تواجه شخصا ما، إلا أنه

كان دائمًا صامدًا ومؤمنًا ومبتسمًا، فلم تهتز له شعرة عندما علم أنه مصاب بالسكر، ولم يبك عندما أخذ الأطباء يبترون أصابع قدميه واحدة بعد الآخرى، حتى أتوا على كل أصابع القدمين لينتهى به الأمر على عجلة متحركة يحركها بطاقة لا نهاية لها من الصبر والإرادة، وزاد القدر من صبر هذا الرجل، فأصيبت زوجته بمرض السكر الذى ذهب بعينيها ثم أودى بحياتها، هناك بكى بديع متأثرًا، بل سقط فى غيبوبة من تأثير الأزمة، لكنه سرعان ما قاوم، واستعاد ابتسامته الساخرة، ورغبته فى الحياة، فتحسس عربته مرة أخرى وانطلق فى طريق الصبر والإيمان الذى اعتاد المضى فيه.

ولم ييأس القدر من هذا الرجل.. فانتزع منه صديقه ورفيق عمره نجيب الريحانى، فتأثر، إلا أنه سرعان ما قاوم، وحمل على كاهله مسئولية الفرقة، وأصبحت هى شغله الشاغل، وفاءًا لصديقه وإحترامًا لفنه، هنا اشتد القدر وهاجم بقوة أكبر.. فاختار أعز ما لدى هذا الرجل، ابنه الشاب الذى كان ينتظره مستقبل باهر فى التمثيل، واعتقد الجميع أن هذه هى الضربة القاضية، لكن بطلنا كان الأقوى فلم يستسلم رغم كل الحزن الذى حمله داخل قلبه، وظل صامدًا... يذهب إلى المسرح محمولاً كى يتابع عمل الفرقة، متحديًا ضربات الزمن، متحسسًا عربته التى تدفعه من جديد فى طريقه.. طريق الإيمان والأمل.

الرحيل

فى يوم ٣ فبراير سنة ١٩٦٦.. كان الرحيل.. توفى شيخ المسرح.. شعر بضيق فى التنفس، ثم هبوط مفاجئ فى القلب، والغريب أن الكثيرين خرجوا باكين مؤكدين أنهم لم يندهشوا لوفاة هذا الرجل إنما اندهشوا لأنه عاش!!

فقد مر بالكثير من الأزمات التى كانت كفيلة بالقضاء عليه لكنه تحمل وصبر.. وعاش..

ولكن فى النهاية.. سكنت دقات ذلك القلب بعد ٧٢ عامًا من الصمود والمقاومة ليتوفى ذلك الرجل الذى تحدى الصعوبات ولم يعرف اليأس.

بديع خيرى فى سطور

- ولد فى ١٨ أغسطس عام ١٨٩٣م فى درب المغربلين أحد أحياء القاهرة الشعبية لأب تركى مهاجر وأم مصرية.
- اسمه الحقيقى بديع عمر خيرى
- كان والده يعمل مديراً لحسابات أم الخديوى عباس حلمى.
- كان له أخوان غير شقيقين هما: محمود ومصطفى.
- نشأ نشأة شعبية، وشغل وقت فراغه بين مقاهى الجمالية والإمام الشافعى.
- يوم ميلاده الفنى هو ١٨ أغسطس سنة ١٩١٨م وهو اليوم الذى قابل فيه نجيب الريحانى، والغريب أنه نفس يوم ميلاده.
- تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٠٥م.
- فى بداية حياته.. عمل مترجمًا فى مصلحة التليفونات ثم فُصل بسبب وطنيته.
- عمل مدرسًا فى مدرسة رفاعة الطهطاوى ومدرسة السلطان حسين.
- نظم أول قصيدة له عن الحزب الوطنى وكان فى الثالثة عشرة من عمره، وقد نُشرت فى جريدة الأفكار.
- أول مونولوج له هو «ليلة العيد» الذى اشترته فاطمة قدرى بخمسين قرشًا كاملة.
- أول مسرحية له هى مسرحية «أما حتة ورطة» والتى شاركته فيها مجموعة من الهواة مكونين فرقة «نادى التمثيل المصرى».
- قدم خلال حياته الفنية حوالى ١٦٠ مسرحية منها: على كيفك، لو كنتى حليوة - استنى بختك - ياما كان فى نفسى - خلينى اتبحبح يوم - إلا خمسة - حسن ومرقص وكوهين.
- قدم حوالى ١٥٠ أوبريتا.

- ألف للسيدة منيرة المهدية عدة روايات منها: الغندورة - قمر الزمان - حورية هانم.

- قدم ٢٥ فيلما سينمائيا.. منها: العزيمة - انتصار الشباب.

- فى عام ١٩٢٣م حصل على جائزة وزارة الأشغال عن مسرحيته التى كتبها عن فتح السودان.

- فى عام ١٩٢٤م.. فاز بجائزة التأليف الأولى. وفى عام ١٩٦٢م حصل على وسام الاستحقاق من الرئيس جمال عبد الناصر.

- نقل إلى العربية روائع موليير بعد تمصيرها.

- حافظ على وعده للريحانى، وأبقى على فرقته حتى بعد وفاته.

- كان أحد أعضاء الحزب الاشتراكى الذى تكون عام ١٩٢١م.

- كتب مع الريحانى قصة وحوار تسعة أفلام هى: صاحب السعادة كشكش بيه، ياقوت، بسلامته عاوز يتجوز، سلامه فى خير، سى عمر، لعبة الست، أحمر شفايف، أبو حلموس، وغزل البنات.

قال وقيل عنه

* أنا لا أفكر فى النكتة.. وإنما تهبط هى علىّ دون انتظار.

* الريحانى يقول النكتة التى لم يكتبها، وأنا أكتب النكتة ولكن لا أقولها.

* إنشروا مسرحيات الريحانى لتكون قدوة فى التأليف المسرحى.

* المؤلف الكوميدى مهمته شاقة لأنه ينتزع شخصيات مسرحياته من الحياة، فهى نفس الشخصيات التى تحيا وتتحرك فى المجتمع، وكل ما عليه هو أن يقدمها فى قالب كاريكاتيرى ساخر وصادق فى آن واحد.

* لو إننى أكتب تراجيديا أو دراما لساعدتنى كل أحداث حياتى على الكتابة.

* القوالب المسرحية الموحدة.. ظاهرة منتشرة حتى فى الخارج، والسبب هو

تمسك الجمهور بها ورفضه للتغيير.

* الرغبة فى النهضة الفنية متوافرة عند المؤلف المسرحى، لكنه لا يستطيع تحقيقها طالما الجمهور هو الحكم الأول.

* أقسى ما يصادف كاتب الكوميديا أن يبكى بينه وبين نفسه بينما يضطره الواجب أن يُضحك الجماهير!!

- لم نندهش لوفاة بديع خيرى وإنما اندهشنا أنه قد عاش.

- زوجته: بديع لم ينشغل سوى بفنه، وظل دائمًا مخلصا لرسالته.

- «قلة من الناس هم الذين يعرفون تاريخ بديع خيرى السياسى، ويعرفون إنتماءه للحزب الوطنى».

- كان لثورة سنة ١٩١٩ زعيمان: سعد زغلول، أغانى سيد درويش وهى تلك الأشعار لتى كتبها بديع خيرى.

صانع الفكاهة

مر هذا الرجل بكل أحداث التراجيديا والدراما التى يمكن أن يمر بها إنسان.. إذ ساق له القدر عشرات الأزمات: الصحية والنفسية وحتى العاطفية وكأنه يختبر صموده وصلابته.. ورغم ذلك.. استحق بجدارة أن يكون امبراطورًا للضحك وصانع للفكاهة المصرية، على مدى أكثر من أربعين عامًا، احتل خلالها عرش الكوميديا بلا منازع!!

احتار الكثيرون فى شخصية هذا الامبراطور.. صلابته وقوته وكبريائه وأطلقوا عليه «الرجل الذى مات بالتقسيط» لكثرة ما تعرض له من آلام وصدمات، رغم أن سر هذا الرجل يتلخص فى كلمة واحدة: الإيمان.

فقد كان بديع مؤمنًا بفنه ورسالته إلى أقصى حد، وكان يخرج من كل أزمة مستندًا على تلك العصا الساحرة - الإيمان بالفن - فيصهر كل أزماته فى روايات

كوميدية خالدة منها: على كيفك، إلا خمسة، ياما كان فى نفسى ـ لزقة إنجليزى، وغيرها.

ـ وقد كان شيخ الزجالين رائداً فى عصره، وقد سبق تلك الدعوة التى يسوقها لنا اليوم الأطباء النفسيون «العلاج بالضحك» وأجدر مثال على ذلك أن بعض الأطباء كانوا يوصون فى روشتاتهم الطبية بالذهاب إلى مسرح نجيب الريحانى مرتين فى الأسبوع! مما يدل على المكانة العالية التى كان يحتلها ذلك المسرح.

ـ والغريب أن هذا الرجل الذى استطاع أن يضحك الملايين كان له رأى غريب للغاية فى الكوميديا المصرية إذ أعلن بوضوح أن ما يقدم على المسارح المصرية ليس كوميديا! وأنه لا يوجد فى مصر ممثلون كوميديون، وإنما ما يقدم هو «فودفيل» وبرر ذلك بأن الكوميديا هى تقديم الحياة الحقيقية للمجتمع بلا زخرفة أو مبالغة أما الفودفيل فهو: مواقف مضحكة تحدث بين شخصيات المسرحية، وغالبًا ما تعتمد على الافتعال.

ـ ورأى صانع الفكاهة أن المسئول الأول عن ذلك هو الجمهور الذى يريد أن يضحك فقط! وإذا لم يضحك انصرف عن المتابعة.

فشل ذريع

وكان بديع يؤكد دائمًا أن كتابة الكوميديا التحليلية أسهل كثيرا من الفودفيل، لكن انصراف الجمهور عنها، يجعل مصير المسرحيات الهادفة الفشل الذريع، وبالتالى فإن المؤلف المسرحى الكوميدى الذى لا يعتمد على إعانة حكومية أو يعتمد على شباك التذاكر، يضطر أن يساير أذواق الجماهير وينزلق إلى الفودفيل..

ويضرب لنا مثالاً بمحاولاته مع نجيب الريحانى ليقدم مسرحيات رفيعة المستوى تزيد من مستوى الجمهور، لكن هذه المسرحيات كان نصيبها الفشل الذريع، مثل مسرحية «صلاح اليوم» وهى مسرحية من النوع الاجتماعى الهادف.. لذا تضاءلت إيراداتها، إلى الحد الذى جعل المرحوم الريحانى يبكى لخيبة رجائه فى استجابة الجمهور المصرى لهذا النوع الرفيع من الكوميديا.

وهناك أيضًا تجربة «الجنيه المصرى» تلك المسرحية الاجتماعية الهادفة التى لم يتقبلها الجمهور، وغيرها من التجارب الهادفة التى فشلت.

ونضحك كثيراً عندما نعلم أن النجاح الجماهيرى الذى تحققه المسرحيات هزيلة المستوى كان يغطى نفقات الخسارة التى تترتب على تلك الأعمال الهادفة! فبعد أشهر من الخسارة والتدهور، قدم مسرح الريحانى مسرحية هزيلة ألفها بديع فى خمس ليال متوالية وهى مسرحية «المحفظة يا مدام» والغريب أن هذه المسرحية صادفت نجاحًا مذهلاً وغطت إيراداتها الضخمة كل الخسائر التى كانت قد لحقت بفرقة الريحانى!!

بديع.. شيخ الزجالين.. ماذا تبقى من أزجاله؟

- كتب على لسان الصعيدى بائع القلل الذى يعرض بضاعته فوجدناه يقول:

مليحة قوى القلل القناوى

رخيصة قوى القلل القناوى

قرب حدانا وخدلك قلتين

- كذلك كتب يعبر عن أمنيته أن ترتقى الصناعة المصرية، وأن يقبل الشعب المصرى عليها بدافع الوطنية والكرامة.. فنجده يقول:

خسارة قرشك وحياة ولادك

على اللى ماهوش من طين بلادك

قول لى حتلقى.. زى دى زين

- كذلك كتب ينتقد الاستعمار الذى ينهب خيرات البلاد قائلاً

اشمعنى يعنى يا ولد دينى

ياكلوا الصينية وياخدوا الماهية

م الكوبانية.. وعلاوله

وابن البلد دى يطفح الدردى

ما يتعدلش يمكن ما يطولش يتعشى طرشى

ويعوض الله .. يهون الله .. ويعوض الله

وأصبحت جملة يعوض الله ذائعة الانتشار على ألسنة الشعب المصرى الذى يعانى من غدر الاستعمار وبطشه

وفى ذكرى سيد درويش، ألقى بديع زجلاً رائعًا ينعى صديقه الوطنى قائلاً:

النهاردة إحنا أحوج ما نكون

لـتـمـام رسـالـتـك

نستمد فى ثورتنا

من ألحان بسالتك

لو بإيدى كنت

يارب سألتك

عمر «سيد» تبدله بعمرى أنا

لكن بإرادتك

ـ وعندما كانت المياه لا تمر فى الأحياء الشعبية فى مصر، نشأت فئة السقايين وهو شخص يحمل قربة يملأها ويوصل المياه ويجوب مناديًا:

يعوض الله... ويهون الله

فكتب خيرى قائلا:

يهون الله ويعوض الله

ع السقايين دول شقيانين .. متعفرتين م الكوبانية

خواجاتها جونا.. هيطفشونا

ليه بيرازونا.. دى صنعة أبونا

متعبرونا يا خلايق